جامع سليمان باشا الخادم

بقلعة الجبل (سارية الجبل) (935 هـ/1528م)

إعداد

أ.د/ مجدى عبد الجواد علوان عثمان

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية
وكيل كلية الآداب – جامعة أسيوط

الموقع والمنشئ وتاريخ الإنشاء:
يقع الجامع في الجهة الشمالية الشرقية من القلعة ، ترجع أهمية هذا الجامع لاعتباره أول جامع بني في مصر على الطراز العثماني
تذكر حجة وقفه أن موقعه بقلعة الجبل المنصورة ، وكانت قد عرفت في وقت إنشائها باسم (محلة الإنكشارية) ، بجوار مقام العارف بالله الشيخ سارية ، وكان هذا الجامع قد اشتهر على ألسنة الرحالة والمؤرخين باسم (سارية الجبل) ، إلا أن سارية لم يحضر إلى مصر أصلاً ولم يدفن بها ، والمنشئ للجامع الأصلى في هذا الموضع : الأمير أبو المنصور قسطه الآمري سنة (535 هـ/ 1140م) ، كما يستدل على ذلك من اللوحة التأسيسية الموجودة بأعلى باب المدفن الملحق بالجامع.

نص إنشاء الجامع :

يوجد النص التأسيسي للجامع أعلى الباب المؤدي إلى الحرم بالجدار الشمالي الغربي للجامع ، هو مسجل بطريقة حساب الجمل على لوح رخامي ، ونصه كما يلي :

1- قد بنى وعَمَّرَ الجناب العالى مملوك سلطان السلاطين سليمان بن سليم خان من آل عثمان أدام الله دولته إلى يوم الدين وهو أمير الأمراء المصريين .

2- سليمان باشا اللهم اجعله من الفائزين جامعا لوجه الله الملك المعين وطلبا لمرضاة رب العالمين ليعبدوا فيه عباد الله الصالحين وكان تاريخه فاركعوا لله مع الراكعين .

- النقش الكتابي بضريح أبي المنصور قسطة :

توجد لوحة رخامية مستطيلة أعلى باب القبو الذي يتوصل إليه من سلالم هابطة ، يتم النزول إليه من داخل حجرة الدفن بالركن الشمالي الغربي لحرم الجامع ، نظمت في تسعة أسطر ، ونص الكتابة كما يلي :

1- بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر
2- فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا
3- بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
4- والأبصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله
5- والله يرزق من يشاء بغير حساب – أنشا هذا الجامع المبارك الأمير
6- المرتضي المنصور مجدد الخلافة عمدة الإمامة فخر الدين عز
7- المجاهدين ذي الفضيلتين خالصة أمير المؤمنين أبي المنصور قسطه
8- كان الله له وليا وحافظا وأثابه في الاخره جنات ورضوانا ابتغاء
9-مرضاة الله سبحانه وذلك في رجب في شهور سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

- الوصف المعمارى للجامع من الداخل:

ينتمي تخطيط هذا الجامع للتخطيط العثماني الوافد، حيث يتكون من جزأين رئيسيين ، أحدهما مغطى وهو بيت الصلاة (لوحة 83) ، يبلغ مسطحه 185م ^{2} ، والآخر رواق بداير الصحن المكشوف ويسمى الحرم ، تبلغ مساحته 350م ^{2} ، منها 115م^2 للصحن (شكل 24) ، ويتكون بيت الصلاة من درقاعة وسطى مربعة ، يحيط بها من ثلاث جهات – عدا الجهة الشمالية الغربية – ثلاثة إيوانات أهمها وليس أوسعها إيوان القبلة الذي يبلغ عمقه 5, 75 م ، أما الإيوانان الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي فيبلغ اتساعهما 80 , 7م ، ويغطي الدرقاعة المربعة الوسطى قبة مركزية محمولة على مثلثات كروية ركنية ، أما الإيوانات الثلاثة الأخرى وهي: الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية فيغطيها ثلاثة أنصاف قباب محمولة هي الأخرى على مثلثات كروية ، تحصر فيما بينها عقد مدبب ، ونلاحظ أن المعمار اختزل الإيوان الرابع وأوجد بدلاً منه عقداً حتى تكتمل هيئة العقود الأربعة التي تحتوى على المثلثات الكروية موضع الحاملة للقبة الوسطى المركزية .

ويقع إيوان القبلة بالجانب الجنوبي الشرقي من المربع الأوسط ، وهو على شكل مستطيل يتوسط صدره محراب رخامي ، عبارة عن حنية نصف دائرية ، تعلوها طاقية يتوجها عقد

مدبب ، زينت بمجموعة من الأشرطة الدالية وفق نظام الأبلق والمشهر ، يكتنف المحراب شباكان كل منهما ذو جلسه مرتفعة عن أرضية الإيوان .
يجاور المحراب منبر رخامي عثماني الطراز ، يتكون من ريشتين وجانبين ، و باب المقدم يفضي إلى سلم بنهايته جلسة الخطيب، والتي يوجد بأعلاها جوسق تتوجه قمة مخروطية الشكل ، نفذت به زخارف هندسية ونباتية مورقة متعددة الألوان بالحفر ، كما يكسو جدران بيت الصلاة وزرة رخامية على غرار وزرات العمائر المملوكية. ويعتبر الإيوان الجنوبي الغربي أقل الإيوانات عمقاً ، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة ، يوجد بضلعه الغربي باب الدخول للجامع ، ويجاور المدخل من الجهة الجنوبية شباك يماثل شبابيك إيوان القبلة .
أما الإيوان الشمالي الشرقي فمستطيل ، تقارب مساحته مساحة إيوان القبلة إلا أن توزيع فتحاته يشبه تماماً توزيع فتحات الإيوان المقابل له ، ويعلو الجانب الشمالي الغربي من المربع الأوسط دكة مبلغ ، مقامة على كوابيل خشبية ، واجهتها عبارة عن عقد مدبب يشكل العقد الرابع لاكتمال هيئة منطقة الانتقال التي تقوم عليها القبة المركزية الوسطى.
أما الحرم وهو الكتلة الرئيسة الثانية من الجامع والتي التصقت به من الجانب الشمالي الغربي ، فعبارة عن صحن أوسط مكشوف تحيط به أربعة أروقة ، يتكون كل رواق من بائكة واحدة تشرف على الصحن من خلال ثلاثة عقود تربط بين أرجلها أوتار خشبية ، وتتكئ على أعمدة حجرية ودعامات في الأركان ، غطيت هذه الأروقة بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، كما يحتوي الحرم على ثلاثة أبواب ، يتوسط أحدها الرواق الجنوبي الشرقي وهو الباب المشترك بين الحرم وكتلة بيت الصلاة ، وهو ليس بباب محوري ، حيث يميل ناحية اليسار جهة الشرق ، أما البابان الآخران فخصص لهما كل من الجانبين : الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي بواقع باب في كل جانب .
ويضم الجامع مدفناً يقع بالركن الشمالي من الحرم ، ويضم بداخله مجموعة من التراكيب وشواهد القبور الرخامية والحجرية ، كما يحتوي على اللوحة التأسيسية الخاصة بجامع أبي منصور قسطه الآمري السابق ذكرها(535 هـ / 1140م) وهو أول جامع شيد في هذه المنطقة بالقلعة ، بالإضافة إلى ذلك يوجد بالركن الشمالي من الإيوان الشمالي الشرقي باب شبيه بباب الدخول للجامع يفضي إلى ساحة مكشوفة يوجد بالجانب الجنوبي الشرقي منها الكتاب ، وهو عبارة عن إيوان مستطيل يتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وقد قسم هذا الإيوان إلى بلاطتين موازيتين لجدار المحراب بواسطة بائكتين متوازيتين ، تحتوى كل منهما على ثلاثة عقود ، وقد سقف هذا الإيوان بقبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية ويتوسط صدره محراب يكتنفه شباكان .

- المئذنة :

بنيت في كتلة منفصلة عن كتلة الجامع ، حيث خصصت لها كتلة بارزة في الفراغ الفاصل بين بيت الصلاة والحرم ، في الركن الجنوبي من الحرم ، وتبدأ بأساس من الأرض ، وتقع ملاصقة للمدخل المؤدي إلى الجامع مباشرة في الركن الجنوبي للمنطقة الفاصلة بين بيت الصلاة والحرم، وتتكون من قاعدة مربعة منخفضة الارتفاع ، تنتهي من أعلى بمناطق انتقال عبارة عن مثلثات مقلوبة منزلقة ، يليها طابق مضلع من ستة عشر ضلعاً ، يزين مسطحه جفوت حجرية بارزة وفتحات مزغلية لإنارة النواة ، ينتهي بشرفة أذان مضلعة ،

تستند على مقرنصات حجرية ، ثبت عليها درابزين خشبي ، يليها طابق مضلع ثان ينتهي أيضاً بشرفة أذان مضلعة فقدت درابزينها ، يعلو الطابق الثاني بدن مضلع قصير تتوجه جربوشا عبارة عن خوذة مخروطية عليها تلبيسات من القاشاني الأخضر ، يخرج من مركزها سفود به تفافيح يعلوها هلال .

- التحليل المعماري:

من خلال تحليل المسقط الأفقي و وحدات الجامع وعناصره المعمارية يمكننا ملاحظة ما يلي:

1- تأثر المعمار بتخطيط الجوامع في العمارة العثمانية التركية ، من حيث تكوينه من بيت الصلاة على شكل حرف(T) مقلوب، وحرم مكون من صحن مكشوف مربع يحيط به أربعة أروقة ، وتمثل الدرقاعة المربعة المغطاة بقبة الوحدة التصميمية الأساسية ، حيث روعي فيها مركزية بيت الصلاة .

2- يلاحظ من المسقط الأفقي أن مدخلي بيت الصلاة يؤديان إلى الداخل مباشرة وليس لهما علاقة بمحاور الفراغ المركزي ، كما أن بابي الحرم ليس لهما علاقة بمحاور الصحن ، كذلك فإن الباب بين الحرم وبيت الصلاة ليس على محور بيت الصلاة ، ويرجع ذلك لارتباط موقع بابي بيت الصلاة بالتصميم الداخلي للفراغ وعلاقة الأبواب والنوافذ من الداخل .

أما الأبواب الجانبية المؤدية إلى الصحن فقد ارتبطت بالواجهات الخارجية حيث إنها تقع في منتصف الواجهات تقريباً.

3- عند تحليل الفراغ الداخلي نجد المعمار اعتمد المسقط المركزي ، حيث تجمعت أنصاف قباب من ثلاثة اتجاهات حول القبة المركزية ، إلا أن الفراغات جاءت منسابة ومتكاملة بداخل الحرم ، مع التأكيد على اتجاه القبلة ببروز كتلة الفراغ أمام المحراب عن الفراغ المستطيل لبيت الصلاة .

5- روعي في التشكيل الداخلي لبيت الصلاة التماثل بين الفتحات والمضاهيات ، واستعمل في تشكيل السطح الداخلي التكسيات الرخامية متعددة الألوان ، نظمت بطريقة مماثلة للوضع الشائع في العصر المملوكي ، أما مسطحات الانتقال بين الجسم السفلي والقبة والسطح الداخلي لبدنها فقد غطيت بزخارف نباتية ملونة شاعت في العصر العثماني يظهر فيها تأثيرات زخرفة الرومي والهاتاي في وحدات متكررة مدمجة تتميز بالازدحام وتعدد الألوان بدون التأكيد على مسطح معين.

6- تم التأكيد على عناصر الحركة والاتصال إلى المداخل عن طريق خفض منسوب الأرضية أمام الأبواب عن منسوب أرضية الأروقة المحيطة بالصحن .

7- تميزت وحدات وعناصر التشكيل الخارجي بالواجهات بعدم تجميع الفتحات في تجاويف رأسية كما كان الوضع في العمارة المملوكية ، بالإضافة إلى عدم استعمال عناصر التشكيل التي شاعت في العمارة المملوكية(الأبلق والمشهر) سواء من ناحية اللون أو الشكل ، كذلك فقد تميزت فتحات الأبواب عن فتحات النوافذ ، حيث استعمل للأبواب عقد موتور في حين غطيت فتحات النوافذ بعتب مستقيم ، كما تم معالجة مدخل الواجهة الجنوبية على أنه

المدخل الرئيس للجامع ، من حيث تشكيل طاقية المدخل بالمقرنصات وبوضع المئذنة بجواره .

8- وبصفة عامة وباعتبار أن هذا الجامع أول جامع يبنى على الطراز العثماني ، فيلاحظ أن المعمار في هذا العصر أظهر شكل القباب في التشكيل الخارجي لكتلة الجامع ، سواء في بيت الصلاة أو في الحرم ، على خلاف ما نفذ في العصور السابقة ، حيث ظهرت هذه الأسطح من الخارج بشكل مستو، كما تميز البناء باستعمال القباب في التشكيل الخارجي ، والتي تعددت أشكالها لكل وحدة معمارية من أجزاء الجامع ، حيث استعملت القباب الضحلة الكروية المنخفضة بالرواق المحيط بصحن الحرم ، والقبة الكاملة في تغطية الفراغ المركزي ، وأنصاف القباب للفراغات الجانبية ببيت الصلاة ، وتشكلت منطقة الانتقال للقبة المركزية من الخارج بطريقة مغايرة للقباب المملوكية عن طريق شطف الأركان ، كما يلاحظ أن المئذنة خلت من الزخارف مختلفة بذلك عن مثيلاتها بالعصر المملوكي ، والتي وصل حد الإفراط الزخرفي فيها إلى عدم خلو جزء من طوابقها من الزخارف.

9- استعمل الحجر الجيري في إنشاء الحوائط والقباب وأنصاف القباب ، وتم تحويل المسقط المربع إلى الدائرة عن طريق مثلثات كروية في الأركان ، أما القباب الكروية المنخفضة بأروقة الحرم فترتكز على عقود مدببة تحملها دعائم مثمنة ، وقد استعمل الرخام الملون في الأرضيات وفي وزرة بيت الصلاة .

(لوحة 1) جامع سليمان باشا الخادم - القلعة – منظر عام

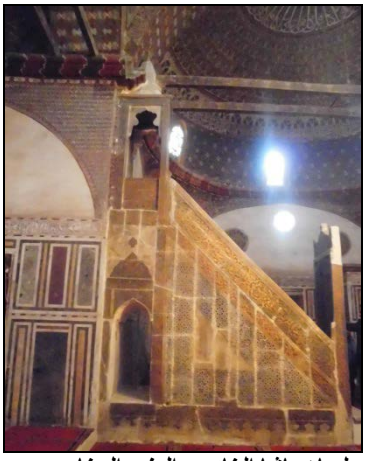

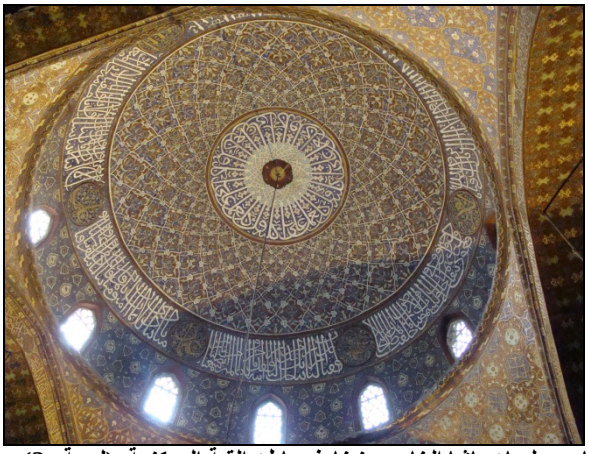

(لوحة 2) جامع سليمان باشا الخادم – زخارف باطن القبة المركزية (لوحة 2) جامع سليمان باشا الخادم – المنبر الرخامى

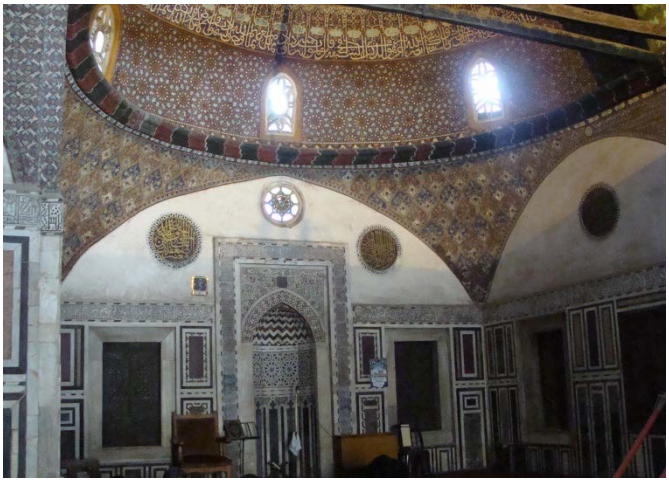

(لوحة 3) جامع سليمان باشا الخادم – جدار القبلة ببيت الصلاة

(لوحة 4) جامع سليمان باشا الخادم – أروقة الحرم